منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية

البلاغة العربية
وآفـــاق تحليـــل الخطاب

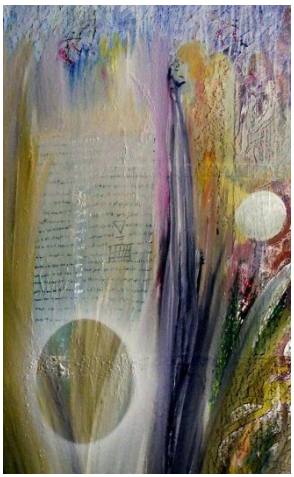

تنسيق

المهدي لعرج حنان المراكشي

محمد الفتحي مصطفى شميعة

فاس ٢٠٢٠

فهرس الموضوعات

تقديم: 3
- البلاغة العربية وامتداداتها..... 7
البلاغة والمجتمع ، قراءة في بعض إسهامات د عماد عبد اللطيف.
د. عادل عاللطيف..... 8
كتاب تحليل الخطاب البلاغي : دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف.
د. علي المصلاوي وأ د: كريمة نوماس محمد النمري..... 15
من الوظائف البلاغية إلى البلاغة الوظيفية ،
د. محمد غازيوي..... 33
أطر النقد البلاغي العربي المعاصر في مشروع عماد عبد اللطيف.
ذ. محمد يطاوي..... 46
قراءة تحليلية وصفية لكتاب " البلاغة والتواصل عبير الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف
د. مسعود غريب..... 62
أهمية التواصل بين الثقافات والحضارات ودور البلاغة ، دراسة ذرائعية مستقطعة في كتاب "البلاغة والتواصل عبر الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف،
د. عبير خالد يحيى..... 83
تحرر البلاغة أو نقض أسس الخطاب الرسمي
ذ محمد الوظيفي..... 102
رؤية الدكتور عماد عبد اللطيف للتواصل بين الثقافات من خلال كتابه " البلاغة والتواصل عبر الثقافات"
د خالد التوزاني..... 117
- مفهوم بلاغة الجمهوروتطبيقاته..... 137
البلاغة والخطابة السياسية المعاصرة، قراءة في كتاب "الخطابة العربية السياسية في العصر الحديث" لعماد عبد اللطيف.
ذ عبدالوهاب صديقي 138
ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب، قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف
د. نزهة خلفاوي..... 146
بين بلاغة الجمهورونظرية التلقي ، تكامل أم تمايز؟
ذ. حسين البعطاوي..... 157

فاعلية استجابة جمهور مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير الخطاب، قراءة في مشروع الدكتور عماد عبد اللطيف
د. ماجد صلاح 186
بلاغة الجمهور: نحو بناء فرضية ذهنية جديدة.
د. عبد الكبير الحسني..... 203
فلسفة الحوار، تأسيس لبلاغة الجمهور في كتاب "البلاغة والتواصل" لعماد عبد اللطيف .
د. نعيمة سعدية..... 212
نظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف وعلاقتها بالسيميائيات
د. ماجد قائد قاسم..... 242
بلاغة الجمهور بين الرؤية و المنجز و الطموح
ذ عادل المجدلاوي..... 267
- تحليل الخطاب السياسي..... 308
مقاربة الخطاب السياسي، قراءة في أعمال د عماد عبد اللطيف
ذ. فضيل ناصري..... 309
وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي من منظور د عماد عبد اللطيف.
د بلخير شنين..... 322
تحليل الخطاب السياسي، قراءة في أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف
د فؤاد أعلوان 337
- إشكالية تدريس البلاغة العربية..... 350
الرؤية الحداثية في تدريس البلاغة العربية – عماد عبد اللطيف نموذجا .
د نصيرة شيادي..... 351
تدريسية البلاغة العربية، قراءة وتعقيب على مقال " تدريس البلاغة العربية التاريخ، الحاضر، المستقبل
ذ.أيوب الظهراوي..... 362
تدريسية البلاغة العربية : المفاهيم وأساليب الأجرأة. قراءة في مشروع د عماد عبد اللطيف.
د. نور الدين ناس الفقيه..... 376
بعض صور أجرأة بلاغة السكاكي في الدرس التعليمي – آلية التعريف أنموذجا- استضاءة بتجربة الدكتور عماد عبد الطيف.
د دنيا لشهب..... 389
- فهرس الموضوعات: 402

مقاربة الخطاب السياسي
قراءة في أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف

ذ. فضيل ناصري
أكاديمية العيون الساقية الحمراء

مقدمة

نسعى في هذا البحث، إلى استجلاء طرائق تناول "الخطابة السياسية" بحسبانها موضوعة مركزية في مشروع البلاغي المصري؛ الباحث الدكتور عماد عبد اللطيف، الذي غدا واحدا من أهم الباحثين الذين يشار إليهم بالبنان في الساحة النقدية العربية عموما، و البلاغية الحجاجية منها بخاصة.

وتشكل الخطابة السياسية اهتماما أثيرا لدى الباحث، مذ اشتغل في أطروحته لنيل الدكتوراه على نماذج ومختارات من خطب الرئيس الراحل محمد أنور السادات، كما استطاع الباحث، وباقتدار لا تخطئه عين القارئ المتخصص الحصيف، أن يراكم في الموضوع مصنفات وكتبا ومقالات جمة؛ منها: "**بلاغة الحرية**: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة"، و" استراتيجيات الإقناع و التأثير في الخطاب السياسي"، و" لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة و الفن"، و" التأريخ عبر الاستعارة، مصر قبل الثورة في خطب الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات"، و" الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي"، و"حروب بلاغية؛ دراسة في خطابات الربيع العربي"، و"الخطابة السياسية في العصر الحديث؛ المؤلف، الوسيط، الجمهور"، وهو الكتاب الذي سنعمد في المقام الأول إلى قراءته قراءة محايثة لصيقة، وقراءة تتكئ على ما يعضدها من خارج الكتاب من منجز الباحث.

ولا غرو أن الخطابة السياسية، تستقطب حقولا ومباحث معرفية وعلوما متنوعة؛ لم تعد اليوم تقف عند حدود القائمة التي حصرها لاندتشير(1998) على ثرائها واختلاف موضوعاتها ومنطلقاتها النظرية و عتادها المفهومي[1]، ونحن إذ نشاطر لاندتشير الرأي و نتفق معه، إلا أننا نستطيع أن نزعم ونحن مطمئنون، أن أهم العلوم التي يمكن أن يتخذها الباحث تكأة له في مقاربة لغة السياسة، بما هي لغة، هي علوم اللغة من بلاغة ومعجم...، وعلوم الاتصال الحديثة.

ومن النافل القول إن الخطابة السياسية كانت معروفة على مر التاريخ، ومذ ساس الإنسان غيره ودبر مجال عيشه، ولكنها كانت تتألق وتطفو على سطح الحيوات

[1] عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، في مجلة اللغة ع.7 ، 2008م، ص.25،26.

السياسية للناس، كما كانت تخبو وتأفل و ينحسر دورها، بالنظر إلى عوامل ترتبط بالأسقف المعرفية و الثقافية والسياسية في كل عصر.
وقد توهجت جذوة الخطابة السياسية في العصر الراهن واتقدت، بفعل انتشار الوسائط الإعلامية وبزوغ مفهوم الجماهير[2]، كما أن الدور الذي نهضت به ثورات الربيع العربي في إعادة الخطابة السياسية إلى الحياة، وبحسبانها ممارسة عفوية غير منكر ولا يحتاج إلى كثير إمعان نظر[3]، فتوق الناس إلى الحرية، ومعاينتهم ظواهر سياسية غير مسبوقة، بمفاهيم وأفكار جديدة؛ من قبيل: العدالة الانتقالية، تحصين الثورة، الثورة المضادة، الدولة العميقة، فلول النظام السابق، البلطجية، الشبيحة، الشرعية وغيرها من المفاهيم في كل قطر من أقطار الوطن العربي، جعل الحاجة ماسة وملحة إلى الخطابة السياسية لأجل فهم الأوضاع الجديدة أولا، ولأجل مواجهة الخصوم ومحاججتهم ثانيا[4].
فالخطابة السياسية إذن واحدة من أهم الطرق التي يسلكها الناس إلى المعرفة؛ معرفة رؤى أخرى جديدة، وهي بذلك إن لم تردم الفجوات القائمة بين المختلفين بشكل كلي، فهي تقلصها وتقرب وجهات النظر المتباينة[5]، وتوحد الجماعات على قضايا و اهتمامات مشتركة، بما يجعلها في المحصلة الأخيرة تبني الذات الجمعية الصلبة للناس[6].
ولا نفشي سرا إن قلنا إن الباحث عماد عبد اللطيف، استطاع بفضل منجزه المتنوع في ما يمت بصلة للخطابة السياسية، وما يسميه ،هو، بلاغة الجمهور، أن يحوز وضعا اعتباريا في صفوف الباحثين الذين اهتموا بدراسة اللغة السياسية و التأليف فيها، بالنظر إلى جملة أمور؛ منها:

- أن الدراسات التي تناولت الخطابة السياسية في المجال التداولي العربي نادرة، وأنها، أغلبها، تنظر إلى الخطب السياسية نظرة دونية، وتخرجها من دائرة ما يمكن أن نخلع عليه توصيف الأدبي والجمالي الحقيق بالدراسة والتناول[7].
- أن عماد عبد اللطيف استطاع أن "يطبع" الخطاب السياسي ويخرجه من منطقة المحرم واللامساس واللامفكر فيه .

---

[2]- عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، في مجلة اللغة،[ع.7]، 2008م، ص.24.
[3]- عبد اللطيف، عماد، ضد البلاغة: الخطابة و السلطة و التضليل عند افلاطون، دار العين للنشر، القاهرة،[ط.1]،1438ه/2017م، ص.197
[4]- عبد اللطيف، عماد، المرجع نفسه، ص.205، 211.
[5]- عبد اللطيف، عماد، المرجع نفسه، ص.204،205.
[6]- عبد اللطيف، عماد، المرجع نفسه، ص.217.
[7]- عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية، مذكور، ص.38،43.

- أن الباحث تعامل مع الخطاب السياسي بوصفه مادة تشكل اللغة نسغها و سداها ولحمتها الأساسية، بما جعله يحتفي في دراساته بطرائق القول و أنواع استجابات المتكلم إليهم، لا الاكتفاء بالسياقات التاريخية والسياسية للخطب.

لأجل كل الذي ذكرناه اخترنا استكناه تصور الباحث عماد عبد اللطيف للخطابة السياسية، وبيان ما ينصبغ به أسلوبه في دراستها، وذلك وفق خطة منهجية جعلنا بمقتضاها هذا البحث في ثلاثة مطالب بعد المقدمة، انتهينا منها إلى خاتمة أفردناها لما قادنا إليه التحليل من خلاصات و استنتاجات.

ففي المطلب الأول الذي وسمناه ب "تحديدات مفهومية" حاولنا أن نبرز المقصود بمجموعة من المفاهيم والاستعمالات التي تحضر في الكتاب، موضوع الاشتغال، بشكل ملحوظ مستلين معانيها ودلالاتها من الكتاب نفسه. ودعونا المطلب الثاني "مضامين الكتاب"، وفيه بسطنا على وجه الإجمال الموضوعات التي ارتاد المؤلف آفاقها بالدراسة و التحليل. و أما آخر المطالب فسميناه "ملامح التجديد في دراسة الخطابة السياسية لدى عماد عبد اللطيف، وفيه ألمعنا إلى تجليات الإبداع في مشروع الباحث بالاعتماد على مصنفه" الخطابة السياسية في العصر الحديث؛ المؤلف، الوسيط، الجمهور".

المطلب الأول: تحديدات مفهومية

إن القارئ لكتاب " الخطابة السياسية في العصر الحديث" بمكنته أن يرصد مجموعة مفاهيم واصطلاحات، هي بنظرنا، مفاتيح أساسية لفهم التصور الذي يصدر عنه الباحث عماد عبد اللطيف في الكتاب، وفي غيره من منجزاته الأخرى التي اتخذت السياسة و لغتها موضوعا لها. وهي مفاهيم جمة؛ بعضها متداول معروف، لكن لابد من بيان المقصود به في الكتاب، وهو ما سنعرض له في هذا المطلب، وبعضها جدده الباحث وألبسه حلة جديدة اتسعت معها، أو ضاقت طاقته الاستيعابية، وأصبح له استعمال مخصوص، ونوع ثالث تبينا، بما لايدع مجالا للشك عندنا، أن الباحث أبدعه وصنعه على عينه البحثية، وهو ما سنرجئ الحديث عنه إلى المطلب الأخير من هذا البحث.

ومن المفاهيم المفاتيح التي لا مندوحة لقارئ الكتاب عن ضرورة ضبطها وتحديد دلالتها أو دلالاتها، نذكر " الخطابة السياسية"، و" الخطبة السياسية"، و" بلاغة الجمهور"، و"الجمهور الغفير"، و"عصر استجابات الجمهور"، وسنورد أدناه، وعلى شكل عوارض، المعاني التي صرفها إليها الباحث عماد عبد اللطيف، كما استخلصناها من الكتاب وغيره من مؤلفات الباحث الأخرى.

- **الخطابة السياسية:** لا نكاد نعثر في الكتاب، موضوع الاشتغال، على تحديد دقيق صارم لمفهوم " الخطابة السياسية"، تدخله إلى باب الاستعمالات الاصطلاحية المخصوصة، وإنما اختار الباحث عماد عبد

اللطيف، أن يعرفه تعريفا عاما ، فالخطابة السياسية هي " أحد أهم أشكال التواصل السياسي في العالم العربي قديما وحديثا"[8]، وهي بعد " أحد أهم أشكال لغة السياسة، و أكثرها تأثيرا، واستقطابا لاهتمام العلماء و الباحثين والسياسيين الممارسين لها عبر التاريخ"[9]. ويظل التعريفان كلاهما تعريفين عامين لا يميزان الخطابة السياسية عن باقي أشكال التواصل تمييزا دقيقا، ولا يجعلانها منمازة عن الأمور و القضايا الأخرى التي استأثرت باهتمام العلماء و الباحثين و السياسيين. ولجوء الباحث إلى التعريف العام المجمل ليس، ألبتة، منقصة تثلب عمله، بالنظر في ما يبدو، إلى أن المفهوم متداول مستهلك يفهمه القارئ / المتلقي العربي، ونستطيع أن نذهب إلى أن الخطابة تدل دلالة واضحة على حدث إلقاء الخطبة واستقبالها.

- **الخطبة السياسية:** هي لدى الباحث عماد عبد اللطيف " كلام شفهي، يلقيه سياسيون أمام جمهور، ويتناولون فيه أمور الحكم وقضاياه" و " وسيلة من وسائل التواصل بين النخب السياسية فيما بينها" و" الأداة المثلى للتأثير في الجماهير وحشدهم في أوقات السلم والحرب على مدار آلاف السنين"[10]. فالخطبة السياسية، إذا انطلقنا من التعريف أعلاه، منصرفة من حيث طبيعتها، وفي المقام الأول لا إلى حدث الإلقاء، و إنما إلى النص الملقى من قبل الخطيب.

هذا من حيث ما يتعلق بما يقترحه الباحث في تعريف استعمالي "خطابة سياسية" و"خطبة سياسية"، وأما إذا ما أردنا أن نتحدث عن موضوع الخطبة والخطابة السياسيتين، فنقول إنه، وكما ألمع إلى ذلك الباحث، هو "أمور الحكم وقضاياه"، وهو تعبير عام جدا، ينسلك بموجبه في موضوعهما كل ما يمكن أن يكون سياسيا؛ من أسئلة الناس في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والدينية، والتاريخية، والتربوية وغيرها[11]، ولعل تشعب موضوعات الخطاب السياسي و تداخلها، هو ما يجعل مقاربته مركبا صعب الركوب عسيرا على كثير من الباحثين ممن لم يؤتوا العدة العلمية و المنهجية اللازمة، فوقفوا بدراساتهم عند حدود الإجابة عن أسئلة العلوم السياسية لا أسئلة البلاغة والحجاج والإقناع[12]، بما جعل المفارقة والهوة بين خطاب التنظير والممارسة فيها سحيقة مهولة[13]، ونفهم

---

[8] عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور، دار العين للنشر، القاهرة،[ط.1]،2015/1436،ص.10.

[9]- عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، مذكور، ص.23.

[10]- عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.9.

[11]-عبد اللطيف، عماد، الدراسات السياسية العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، مذكور، ص.41.

[12]- المرجع نفسه، ص.36.

[13]- المرجع نفسه، ص.36.

مما دبجه عماد عبد اللطيف أن مشروعه في الخطابة السياسية إنما أتى لأجل ردم هذه الهوة في هذه الدراسات، ورأب ما يعتريها من صدوع واختلالات.
وقبل أن نجوز إلى تناول مفهومين آخرين مفتاحين، نومئ إلى أن الباحث تبين أن "الخطابة السياسية" متأثرة لم تزل بالحياة السياسية للمجتمع؛ فإذا كانت فوارة اشتعلت البلاد خطبا سياسية، وإذا كانت راكدة انحسرت الخطابة وتراجعت[14]، وقد ساق عماد عبد اللطيف أمثلة دالة لخطباء نبغوا في مراحل الفورة السياسية، أمثال: الشيخ محمود، أبو العيون، وعلي الغاياتي، ومرقص سرجيوس... وغيرهم، وعد عهد الرئيس محمد حسني مبارك معبرا عن حالة الركود، التي صارت معها خطبه، وهو رئيس الدولة، طقسا شكليا فارغا مملا[15].
ومع استدراك عماد عبد اللطيف على الدراسات التي قاربت الخطابة السياسية في المنهج، فإنه لم يغمط بعضها حقها، وأقر لها بالريادة و السبق؛ كما هو الحال بخصوص دراسة المصري عبد الصبور مرزوق الموسومة ب:" الخطابة السياسية في مصر من الاحتلال البريطاني إلى إعلان الحماية" الصادرة عن دار الكاتب العربي بالقاهرة سنة 1967م، ودراسة المغربي محمد العمري " دائرة الحوار ومزالق العنف: كشف أساليب الإعنات والمغالطة؛ مساهمة في تخليق الخطاب" الصادرة عن دار إفريقيا الشرق بالمغرب سنة 2002م، ودراسة التونسي عبد السلام المسدي " السياسة و سلطة اللغة" الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية للنشر بالقاهرة سنة 2007م[16].
وقد خلص الباحث بعد اشتغاله على الخطابة السياسية العربية إلى أن توجهين يسمان دراسة اللغة و الخطاب السياسيين في التداول العربي؛ أحدهما تقليدي يتكئ بأشكال مختلفة على التراث العربي المعني بدراسة الخطابة، وثانيهما معاصر يمتاح آلياته ويستقيها من النظريات و النماذج المعرفية الغربية؛ كالتداولية و تحليل الخطاب[17]، ونستطيع أن نزعم أن مشروع الباحث بعيد عن التوجه الأول منسلك ضمن التوجه الثاني.
بلاغة الجمهور: يتضح من خلال القراءة العميقة وغير العجلى لكتاب " الخطابة السياسية في العصر الحديث " أن هذا المفهوم يستبطن حمولات دلالية تتصل بمعاني النضال، ومقاومة خطاب السلطة، والتوق إلى الحرية و الانعتاق من ربقة الاستبداد والسيطرة السياسيين؛ وهي بلاغة تتغيا " إمداد الإنسان العادي (...) بمعرفة تمكنه - في حال تعرضه لخطاب ما – من الكشف عن تحيزات هذا الخطاب [وهو متحيز بالضرورة]، ومبالغاته ومغالطاته ومفارقاته وتناقضاته الداخلية و الأغراض التي يسعى لإنجازها"، إنها بلاغة فريدة في نوعها تتيح

---

[14]- عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث ...، مذكور، ص.27.
[15]-المرجع نفسه، ص.29،30.
[16]- عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، مذكور، ص.28،31.
[17]- المرجع نفسه، ص.26.

لبسطاء الناس وعامتهم التمييز بين خطاب سلطوي يرمي إلى السيطرة عليهم وخطاب يبتغي تحريرهم[18]، وغاية غايات بلاغة الجمهور، بحسب عماد عبد اللطيف، تدريب الناس على إنتاج استجابات بلاغية فعالة حيال كل ما يتلقاه تمكنه من الفكاك والتخلص من الوقوع ضحية التضليل، ومن كل ما يشوه الفهم والاتصال ويكرس الاستبداد، بما يجعل الجماهير ترتاد مرقى " الاستجابات الرشيدة"[19]. وتظل استجابات الجمهور بنظر "بلاغة الجمهور" المدخل الطبيعي لدراسة العلاقة بين الخطاب و السلطة، وتبين تجليات سلطة الخطاب[20]. ومما يجعل الحديث عن بلاغة توصف ب "بلاغة الجمهور" سائغا مقبولا؛ انتشار وسائل الاتصال الجماهيري بعد أن كانت حكرا على الطبقات الميسورة، من صحف، وإذاعات، وتلفزيون، ولعل أكثر المسوغات مقبولية، بنظرنا، هو الشبكة العنكبوتية التي سمحت للخطبة بأن تكون قنبلة عنقودية غير محدودة الانشطار، حتى إذا ما انبرى زعيم سياسي للخطابة خاطب في الآن نفسه جماهير تتأبى عن الحصر في الزمان والمكان[21].

الجمهور الغفير: يبدو هذا المفهوم إذا عزلناه عن بلاغة الجمهور، بما هي نظرية ونموذج معرفي في البلاغة الحديثة، مفهوما عاديا جدا، لكننا إذا ما حاولنا فهمه وسبر غور حقيقته مستصحبين الخلفية النظرية لبلاغة الجمهور، أيقنا أنه خرج من دائرة الكلمة في أصل وضعها اللغوي، إلى دائرة الاستعمال و الاصطلاح المخصوص؛ فالجمهور الغفير بموجب بلاغة الجمهور لم يعد مجرد مستقبل سلبي لوسائل الإعلام الجبارة، بل أصبح [جمهورا خارقا غير عادي] يستطيع نشر رأيه وموقفه مما قرأه أو سمعه أو شاهده: مفندا، مؤيدا، مستحسنا، مستهجنا في اللحظة نفسها التي تلقى فيها الخطبة[22]، وهذا ما أثمر ما اصطلح عليه عماد عبد اللطيف ب " عصر استجابات الجمهور" وهو الاصطلاح الذي سنضيئه في ما يستقبل من التحليل.

عصر استجابات الجمهور: لقد توفق الباحث في صياغة هذا الاصطلاح، بالنظر إلى أنه لم يكن متاحا للجماهير على مر التاريخ التفاعل اللحظي، وبكثافة عز نظيرها مع ما يلقى من الخطب هنا أو هناك، إذ تمنعها من ذلك قيود الزمان و الجغرافيا و المركز الاجتماعي. أما وقد دخلت عموم الجماهير إلى الفضاء الافتراضي، وصار بمكنتها أن تتلقى، إذا ما هي رغبت في ذلك، أي خطبة سياسية يلقيها أي زعيم في أي بقعة من العالم، فيصح أن ندعي دونما تلكؤ أن الخطب السياسية في العصر الراهن شبت عن طوق الساحات الشعبية، وقاعات

---

[18] - عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.68.

[19] - المرجع نفسه، ص.69.

[20] - المرجع نفسه، ص.55.

[21] -المرجع نفسه، ص.58.

[22] - المرجع نفسه، ص.63.

البرلمانات، ودلفت بغير استئذان إلى بيوتات دهماء الناس وعامتهم، بما جعل جماهيرها غفيرة، وأدخل الخطبة فضاء رحبا يسمه " التواصل الحي "[23] المنفتح على الاستجابات الآنية الضخمة و المنفلتة من الرقابة، واللانهائية السرمدية[24].

المطلب الثاني: مضامين الكتاب

يقع كتاب " الخطابة السياسية في العصر الحديث؛ المؤلف، الوسيط، الجمهور" لصاحبه الدكتور عماد عبد اللطيف في ثلاثة فصول تصدرتها مقدمة، وذيلت بملحق ضمنه المؤلف مختارات من خطب سياسية تناولها بالدرس و التحليل في هذا الكتاب أو في غيره. وسنعمد في هذا المطلب إلى المزج في قراءة مضامين الكتاب بين القراءة الخطية التي تستهدف العرض و التلخيص، والقراءة التركيبية الناقدة مستفرغين وسعنا في ذلك.

لعل أول ما يلفت نظر القارئ لهذا المنجز النصي، هو أن الباحث صب في الكتاب عصارة سنوات من التفكر و إعمال الذهن في الخطابة بوجه عام، والسياسية المصرية منها على وجه الخصوص، بما يجعل جهده وازنا ومعتبرا، لا تسعف في فهمه إلا القراءات الوئيدة لا القراءات المتعجلة، وذلك لأن الباحث استطاع أن يصهر في كتابه التاريخ السياسي الحديث و المعاصر لمصر؛ من خلال العرض لموجز الخطابة السياسية في مصر في القرن العشرين و أوائل القرن الحادي و العشرين، عاقدا المقارنات اللازمة لتبين أوجه الاتفاق و الاختلاف بين مصر الملكية ومصر الجمهورية[25]، مبرزا العلاقات المنعقدة بين الخطابة و الحياة السياسية للمصريين.

لقد عنون الباحث الفصل الأول من الكتاب ب" جمهور الخطابة السياسية من الصحيفة إلى اليوتيوب؛ مصر نموذجا"، وهو عنوان دال يلخص بشكل جيد التحولات التي شهدتها الخطابة السياسية في مصر بين أواخر القرن التاسع عشر مرورا بأوائل القرن العشرين ووصولا إلى القرن الحادي و العشرين. وفي هذا الفصل عمد عماد عبد اللطيف إلى بيان الأدوار الخطيرة التي كانت تضطلع بها الخطابة السياسية، ممثلة في التأثير الشديد الذي كان يحدثه خطباؤها[26] في متلقيها من أفراد المجتمع المصري.

وبالرغم من أن الخطابة السياسية مزدهرة في مصر في ثلاثينيات القرن الماضي، ولها جماهيرها المختلفة، لكنها تظل محدودة الانتشار، بالنظر إلى أنها كانت تلقى شفاهة ، وبالاعتماد على مكبرات الصوت، إن وجدت، في جماهير محدودة العدد، وتعوزها تكنولوجيا الاتصال الحديثة؛ من إذاعات وفضائيات و أنترنت، ويزيدها محدودية انتشار الأمية، وفشو الطبقية الفاحشة بين مكونات

---

[23]- عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.81.

[24]- المرجع نفسه، ص.64،65،79.

[25]- المرجع نفسه، ص.11.

[26]- أمثال عبد الله النديم، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول، انظر المرجع نفسه، ص.16 .

المجتمع المصري آنذاك؛ إذ من المصريين من لا يملك مذياعا في بيته[27]، وقد كان هذا حاصلا في مصر الملكية، أما مصر الجمهورية فقد عرفت تحولا مس الخطابة السياسية ومتلقيها يمكننا أن ننعته بالطفرة؛ إذ أصبحت الخطابة السياسية في متناول الجميع بفضل تطور تكنولوجيا الاتصال، بما جعل أجهزة المذياع بخسة الثمن، وانتشر التلفزيون في بيوت الطبقتين الوسطى و العليا، وارتفع منسوب التعليم و الوعي في صفوف المصريين، فعبرت الخطابة السياسية المصرية من عصر الجماهير المحدودة إلى عصر الجماهير الحاشدة[28].

ومرد هذه التطورات إلى ما حصل بين القوى السياسية المصرية من تفاعل وصراع وتدافع؛ فاستقل كل تيار بخطابة ولغة سياسيتين دالتين عليه دون غيره، فخطابة حزب الوفد تستند على قاموس يتشكل معماره من مفردات المواطنة والمساواة، وتتكئ على الحجاج العقلي لا النصي طريقا للإقناع، ويتكلم خطباء الحزب لغة المصالح لا لغة الترهيب و الترغيب[29].

ويظل الزعيم سعد زغلول أيقونة الخطابة السياسية الوفدية و المصرية على حد السواء، وقد انتهضت خطابة حزب الوفد بدور مركزي ووازن في تحقيق هدفي الاستقلال و التحديث[30]، ونحتج لمكانة المحامي سعد زغلول في تاريخ الخطابة السياسية المصرية بما تركه من تراث ثري، يحفل بالخطبة السياسية، والمذكرات الشخصية، والمقال الصحافي، والرسائل الرسمية وغيرها من أفانين القول و أجناسه، حتى إن بعض العبارات التي سكها مازالت متداولة في الشارع المصري حتى اليوم؛ من قبيل عبارته "الحق فوق القوة، والأمة فوق القانون" والتي تصدر بها جريدة الوفد إلى يوم الناس هذا، وكعبارته الساخرة سخرية سوداء " مافيش فايدة"[31].

وقد ألمع الباحث إلى ما يميز الخطابة السياسية لدى تيارات أخرى؛ فبلاغة حركة الإخوان المسلمين تستند إلى التراث الديني، وتحاج خصومها السياسيين بالنصوص المقدسة، وتثوي في خطابتهم دعوى امتلاك الحقيقة، وتطبعها نبرة اليقين و الوثوق[32]. وإلى جانب خطابة تيار الإخوان هناك لغة الخطاب الناصري بعد يوليو 1952، والتي توظف معجما يساريا قوميا مفارقا لما توظفه التنظيمات اليسارية المفعمة خطاباتها بالمفردات الثورية الاشتراكية، لكن يعاب عليها حجاجها المتأسس على نصوص لم يحل نقدهم لها دون تقديسها[33]. ويعد الباحث

---

[27]- عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.16،17.

[28]- المرجع نفسه، ص.18.

[29]- المرجع نفسه، ص.22.

[30]- المرجع نفسه، ص.24.

[31]- المرجع نفسه، ص.38،40.

[32]- المرجع نفسه،ص.21.

[33]- المرجع نفسه،ص.22،23.

موفقا في خلعه توصيف " عصر الرئيس الخطيب" على العهد الناصري، إذ صارت الخطابة السياسية عملا من أعمال رئاسة الدولة وحكرا عليها، بما جعل "لغة الخطاب الناصري" صوتا مهيمنا على الساحة السياسية[34].

وأما أهم تحول عرفته الخطابة السياسية في مصر، فقد حصل مع ثورة 25 يناير؛ إذ عاد الألق للخطب السياسة، واكتست الكلمة قيمة كبيرة[35]، بعد أن لم تعد حلبة الخطب السياسية مقصورة على نظام مبارك، وغدت حلبة تسعه وتسع الثورة بخطبائها الذين نازعوه في كل الميادين وبخاصة في ميدان التحرير[36]، ولأن نظام مبارك عرف أهمية الصراع والحجاج بالخطابة، التجأ إليها وناور باللغة، حتى كادت خطبته الثانية، تحديدا، و بعيد اندلاع الثورة تعصف بالثورة وتجهضها، لأنه استطاع أن يستميل بلغة توظف بلاغة أبوية فئة غير هينة من الشعب المصري، ويكسب تعاطفها[37].

وفي ثاني فصول الكتاب الذي استهله الباحث بمهاد نظري، تحدث فيه عن تحليل الخطاب والتطورات التي شهدها والحقول المعرفية التي انفتح عليها، وثنى بمقترح عملي يجمع فيه بين التحليل النقدي للخطاب وبلاغة الجمهور[38]، عبر مستويات ثلاثة؛ تبدأ بتحليل نص الخطاب ودراسة بنيته اللغوية، ثم تجوز إلى ربطه بحسبانهشيئا ينتج ويوزع ويستهلك بسياقه، وتنتهي إلى مستوى ثالث تحلل فيه التأثيرات الإيديولوجية وعمليات الهيمنة التي يعد الخطاب مظهرا لها. ويستدعي الباحث بهذا فان ديك والنموذج التحليلي لنورمان فيركليف، ويستدرك على نموذج فيركليف، ويرصد فيه غياب بعد العلاقة بين الخطاب و الاستجابات الفعلية للجمهور الذي يتلقاه[39].

وفي الجانب التطبيقي من الكتاب الذي حواه الفصل الثاني، أفرده لدراسة استجابات جماهير المعلقين في الفضاء الافتراضي لخطاب الرئيس الأمريكي أوباما إلى العالم الإسلامي، منطلقا من جملة عوامل أهمها:

- أن خطبة أوباما التي ألقيت في الرابع من يونيو 2009 حصدت قدرا هائلا من الاهتمام على المستوى العربي و الدولي[40].
- أن منهج تحليل الخطاب وبلاغة الجمهور يحتفيان بجميع الخطابات، والاستجابات التي تحدثها، وهي هنا 147 تعليقا توزعت على سبع صفحات على النت، ويدرسانها في علاقتها بتداولها.

34- عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.25،23،22.

35- المرجع نفسه،ص.41،33،32.

36- المرجع نفسه، ص.34.

37- المرجع نفسه،ص.34.

38- المرجع نفسه، ص.53.

39- المرجع نفسه،ص.54.

40- المرجع نفسه،ص.56.

وفي الفصل الثالث الموسوم ب" الخطابة السياسية؛ معضلة الكاتب الخفي"، حلق الباحث في فضاءات فسيحة رحبة، ساق فيها كما هائلا من المعلومات والمعارف عن تقاليد كتابة الخطب السياسية في أمريكا، والتي تقوم على جيش عرمرم من المستشارين ومراكز الأبحاث و العلماء ذوي الاختصاصات المختلفة، بما جعل مهنة كتابة الخطب السياسية مهنة عادية طبيعية، لا تثلب فصاحة الزعيم السياسي[41].

وأشار الباحث أن الثقافة السياسية العربية لم تقطع بعد مع "الكاتب الخفي" الفرد لا الفريق، والذي يجب أن يظل كذلك إلى أن يموت الزعيم، أو ينتحى، أو يشير هذا الكاتب، إشارات طفيفة في سيرته، أو مذكراته الشخصية، إلى أنه كان كاتب خطب الزعيم، لأن المهمة سرية لا يجوز الكشف عنها[42]، وهو ما حصل مع كل من محمد حسنين هيكل[43] كاتب خطب عبد الناصر و السادات، ومحمد عبد السلام الزيات، وموسى صبري، و أحمد بهاء الدين الذين دبجوا خطب السادات، وأسامة الباز، ومصطفى الفقي، ومكرم محمد أحمد، وعبد اللطيف المناوي الذين كتبوا لمحمد حسني مبارك.

وأبرز عماد عبد اللطيف، بالاعتماد على أدب المذكرات، أن مراحل كتابة الخطب السياسية أربع هي: التجهيز للكتابة، وإعداد الكاتب لمشروع الخطبة، ومراجعة مشروعها من قبل الرئيس، وإلقاؤه لها في المرحلة الرابعة[44]. وخلال هذه المراحل كلها قد يحصل تضارب في المصالح والرؤى، وتحصل توافقات بين الكاتب و الزعيم.

المطلب الثالث: ملامح التجديد في دراسة الخطابة السياسية لدى عماد عبد اللطيف

يحزر القارئ من خلال تصريحات الباحث عماد عبد اللطيف في كتابه " الخطابة السياسية..."، أن انبراءه للكتابة في موضوع الخطابة السياسية، جاء ليغني المكتبة العربية، وليقدم مساهمة " تعد استجابة" لبعض التحولات التي عرفها تحليل الخطاب، كما تعد "إضافة" لها في الوقت ذاته، الإضافة الواعية بالتداخل المتعاظم الحاصل بين تحليل الخطاب و العلوم الإنسانية والمدركة له، وقد سمى الباحث إضافته بالتضافر المنهجي الذي يجب أن يحصل بين التحليل النقدي للخطاب كما نظر له نورمان فيركليف، وبلاغة الجمهور[45] ، وهو ما سعى جاهدا إلى تطبيقه على استجابات جماهير الفضاء الافتراضي لخطاب أوباما، وطبقه على بيانات عديدة أخرى؛ فكتب دراسته المطولة عن استجابة التصفيق في

---

[41]-الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.90،91.

[42]- المرجع نفسه،ص.92.

[43]- وأشهر ما كتبه هو "بيان التنحي" الذي ألقاه عبد الناصر بعيد هزيمة يونيو 1967م.

[44]- الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.105.

[45]-المرجع نفسه، ص.50.

الخطب السياسية المصرية في كتاب :" لماذا يصفق المصريون؟"، وطبقه على تعليقات الجمهور على المناظرة الشهيرة بين مرشحي الرئاسة المصرية: عمرو موسى وعبد المنعم أبو الفتوح، وعلى بيان التنحي لجمال عبد الناصر.
فإلى جانب هذه الجدة التي رصدناها في أساليب دراسة الخطب السياسية وتناولها، استطاع الباحث، أن يبدع جهازا مصطلحيا خاصا به، يشكل، بنظرنا، آليات ضرورية لا مناص للمشتغلين ببلاغة الجمهور وعليها عنها، وسنورد نماذج منها أسفله على شكل عوارض باقتضاب و إيجاز شديدين:

- الكاتب الخفي: يثير هذا الاصطلاح جدلا كبيرا، تتنسف معه مقولة " الأسلوب هو الرجل" ويصعب معه تمييز أسلوب الزعيم من أسلوب " كاتبه الخفي". ويستتبع هذا المصطلح اصطلاحات أخرى ترتبط به ارتباطا وثيقا غير منفصم من قبيل: "كتابة الذات"[46] الدال على هامش الحرية الذي يتحرك فيه الكاتب الخفي، والذي يمكن أن يتطور إلى " حجاج المصالح"[47] بوصفه الآلية المعتمدة في ثني الحاكم عن إلقاء خطاب مان أو تشجيعه عليه، أو على بعضه (حالة أحمد بهاء الدين مع السادات) ، ويمكن أن ينزل إلى " صمت الذات "، ذات الكاتب الخفي، وانسحابها إذا كانت الخلافات جذرية بينها وبين الحاكم. و يستدعي اصطلاح الكاتب الخفي اصطلاحا آخر دعاه الباحث "كتابة القناع" وهي كتابة يتماهى بمقتضاها الكاتب الخفي مع ذات الحاكم ويذوب فيها، لا يرى من الصلاح إلا ما يراه الحاكم، فيحاذيه حذو النعل للنعل، ولا يحيد عن رأيه واختياراته[48].
- التلطيف اللفظي: ويقصد به عماد عبد اللطيف استعمال الخطيب السياسي تعابير مخففة أو غامضة وغير مباشرة، للإشارة إلى ظاهرة أو سلوك أو حدث ما، بغية توجيه استجابات الجماهير وجهة ما وضبطها، بما يخدم مصلحته. ويعمد الخطيب/ الزعيم إلى التلطيف في حالة وجود أكثر من تعبير وتسمية لشيء واحد، أحدها يقدم الشيء كما هو وبشكل مباشر تقريرين والثاني يقدمه "ملطفا"، والثالث يقدمه مهولا، ومن أمثلة ذلك اقتناع جمال عبد الناصر باستعمال لفظ " نكسة" بدل هزيمة مروعة، وباستعمال "التنحي" بدل "الاستقالة"، وباستعمال لفظ "عدوان" على سيناء بدل "غزو" و "احتلال"[49]. ويتساوق مع اصطلاح التلطيف اللفظي اصطلاحان اثنان آخران نحتهما الباحث هما: "استراتيجية التهوين اللفظي" و" استراتيجية

46- عبداللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.121.

47- المرجع نفسه، ص.112.

48- المرجع نفسه، ص.122.

49- عبد اللطيف، عماد، بيان التنحي وذاكرة الهزيمة: مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، في مجلة ألف، الجامعة الأمريكية، [ع.30]، 2010م، ص.151.

التهويل اللفظي"[50] ، و" استراتيجية التضامن و المراوغة" في استخدام الضمائر[51] وكلها اصطلاحات تومئ إلى وجود مسكوت عنه ومساحات صمت ورغبات دفينة في التنصل من المسؤولية.

- الخطابة الدين – سياسية: لقد سك الباحث عماد عبد اللطيف هذا المصطلح ليصف به خطاب حركة الإخوان المسلمين[52] .
- الجمهور المشارك: وهو الذي يحضر الخطبة ويتلقاها بشكل مباشر، من غير وسيط إعلامي، ويستطيع نقل استجاباته للخطيب بشكل مباشر أيضا عبر التصفيق أو الصوت، ووصف بالمشارك لأن له دورا غير منكر في إنتاج الحدث الخطابي، واستجاباته تعد جزءا من خطاب المتكلم ذاته، خاصة إذا كان كله من أنصار و مؤيدي الخطيب.
- الجمهور غير المشارك: وهو الذي يتلقى الخطبة من خلال وسيط إعلامي (إذاعة، تلفاز، حاسوب، شاشة عملاقة، هاتف ذكي...)، ولأنه غير مشارك ولا يحضر لحظة إلقاء الخطبة، فاستجاباته غير مباشرة، ولا تدمج في خطاب المتكلم، وهو جمهور أكثر عددا من الأول[53]. كما يمكننا أن نستنتج اصطلاحا آخر فريدا هو " شيخوخة الخطب"[54] من خلال قول الكاتب وهو يتحدث عن نظام مبارك بعيد ثورة 25 يناير :" كانت الشيخوخة تضرب بجذورها، ليس في قلب النظام فحسب، ولكن في روح الخطب أيضا".

خاتمة:

ننتهي من خلال قراءتنا كتاب "الخطابة السياسية في العصر الحديث؛ المؤلف، الوسيط، الجمهور" إلى الخلاصات الآتية:

- أن الكتاب يعد لبنة أساسية في صرح الدراسات العربية التي اهتمت ببلاغة الخطاب السياسي.
- أن الطفرة التي عرفتها تكنولوجيا الإعلام والتواصل تعد مسوغا مقبولا للاشتغال ببلاغة الجمهور، وتطبيقها على خطابات غير سياسية.
- أن الباحث عماد عبد اللطيف استطاع و باقتدار أن يسلط الضوء على تعليقات تحبل بالمعلق المثقف، والأمي بضرب من التأول، والساخر، والعنصري، والإقصائي، من خلال دراسته وتحليله لخطاب الرئيس الأمريكي أوباما إلى العالم الإسلامي.

---

[50] -المرجع نفسه، ص.154، 155.

[51] - المرجع نفسه،ص.161، 162.

[52] - عبد اللطيف عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.20.

[53] -عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.82.

[54] - المرجع نفسه، ص.32.

- أن الخطابة السياسية بحسبانها تضطلع بأدوار خطيرة في حياة الناس يجب أن " تطبع" وتفتك من إسار الطابو والمحرم.
- أن تاريخ الخطابة السياسية في أمس الحاجة إلى الجمع والتدوين.
- أن الثورات وغليان الشعوب يذكي جذوة الخطابة السياسية.
- أن دراسة الخطابة السياسية يفترض فيها أن تجيب عن أسئلة اللغة ذات الصلة بالإقناع و الحجاج وتدافع الأفكار.
- أن الباحث عماد عبد اللطيف أسهم في تجديد البلاغة العربية على مستوى منهج التناول والاصطلاح.

قائمة المصادر و المراجع

1- عبد اللطيف، عماد، بيان التنحي وذاكرة الهزيمة: مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، في مجلة ألف،الجامعة الأمريكية، ع.30، 2010م.
2- عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور، دار العين للنشر، القاهرة، ط.1 1436ه/2015م.
3- عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، في مجلة اللغة، ع.7، 2008م.
4- عبد اللطيف، عماد، ضد البلاغة: الخطابة و السلطة و التضليل عند افلاطون، دار العين للنشر، القاهرة، ط.1438،1ه/2017م.